أوقات العبيد

عثمان البستان

◆ المؤلف: عثمان البستان
◆ العنوان: أوقات العبيد
◆ الطبعة الأولى 2021
◆ لوحة الغلاف: حقي البستان
◆ مستشار النشر: سوسن بشير
◆ المدير العام: مصطفى الشيخ

رقم الإيداع:
٢٠٢٠/٢٠٨٣٠
الترقيم الدولي: ISBN
978-977-765-286-5

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

أوقـــات العبيـــد

شِعر

عثمان البستان

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

البستان، عثمان.

أوقات العبيد. تأليف: عثمان البستان

ط1 القاهرة – دار آفاق للنشر والتوزيع – 2021

112 ص، 20 سم.

رقم الإيداع 20830 / 2020

الترقيم الدولي 5 – 286 – 765 – 977 – 978

1 – شعر

2 – البستان، عثمان.

«اللغة هي مفتاح التغيير
الانعتاق من العبودية والتحرر النهائي»

حقي البستان

عثمان البستان وُلد ونشأ في الزمن الصناعي الاحتكاري الجنوني في حي فقير منسي في بغداد، في بيئة اجتماعية تكونت من رواسب فيضانات دجلة والفرات، ومن التناقضات الطبقية في زمن الملوك الهاشميين والمظاهرات ضد الاستعمار الإنكليزي، ذلك الحي الشعبي كان يضم نازحين من مدن الجنوب والشمال ومجموعة صغيرة من الحرفيين البغداديين القدماء...

كان الحي محاصرًا بنهير صغير/ شط، معسكر مهجور، بستان حمضيات وبأحياء الأغنياء وبيوتهم البيضاء الكبيرة.

كانت طفولة عثمان فضولية للتعرف على محيطه النابض بالحركة والمفاجآت المتتالية؛ حيث التسلق عبر الجدار الطيني إلى بستان الرمان والبرتقال، التسلل في ظهيرة الصيف إلى ملاعب

الأطفال في أحياء الأغنياء، معايشة الاحتفالات النبوية ومسيرات المواكب الحسينية وطقوس التشبيهات المسرحية الدينية.

في سينما الحي الصيفي والوحيد حيث العائلة تدير مطعمها الصغير وتشرف على مخازن الأفلام وغرفة ماكينة العرض، كان عثمان شديد الولع بجمع الصور الفوتوغرافية، بوسترات الأفلام، تسجيل أسماء الممثلين بالحروف اللاتينية وحروف نطقها بالعربية في دفتر مدرسي خاص، كانت مساءات صيف الحي تضاء بفعل شاشة السينما العريضة، حيث عثمان يجلس تحت ماكينة العرض كل خميس تلسع جلده حرارة أشعة الأفلام المتدفقة بغزارة، لا شيء يشبع فضوله... مكتبة العائلة كانت متنوعة: الشِّعر الجاهلي، طه حسين، المتنبي، الشعر العربي الحديث، نازك الملائكة، الأدب العالمي، الفلسفة الصوفية والوجودية، الماركسية، كتب الأساطير، الكتب الدينية، تاريخ الفن، كافكا، أجاثا كريستي، ودفاتر يوميات الحب المنسية سهوًا في رفٍّ ما.

تنبه عثمان لإغراءات كفاح الحياة المرير. قَبِلَ التحدي، وغادر البيت الآمن مبكرًا للعمل والدراسة.

كعادته تسلل بهدوء الحكيم إلى ميادين الصراع الاجتماعي والسياسي... وشرع في تسخير كتاباته الشِّعرية والأدبية الأولى

على توصيف الواقع كما هو كتوثيق للحدث. لا شك أن اللغة هي الابتكار الأعظم والأهم الذي حققه العقل البشري حتى الآن... فما قبل اللغة كان ارتباك الخرس وحيرة توظيف الصوت في التعبير.. وما بعد اللغة صار هوس الوهم، انحسار الكون ولوعة الإدراك.. ومع إتمام صناعة الحروف والأبجدية انطلق الإنسان ليخلق عوالمه الجديدة التي لم ولن تنتهي إلا بنهايته... نضوج اللغة وقدرة التعبير يأتيان لا شك من نضوج الخبرة وجدارة الحياة.

لقد وظف عثمان اللغة لتكون كفؤُة مجدية ومفيدة للآخرين خصوصًا للفقراء منهم، لم يهمل أبدًا شكل الكلمة، جمالها، صوت لفظها، انسيابيتها، وعدد حروفها، فالبناء المتين يبدأ بذرة رمل واحدة.

الإيقاع المتحرك مثل الرمال، مهم، خاصة في صناعة النص الشِّعري عند عثمان، فهناك مسير متسلسل محكم في عملية الخلق هذه: انبثاق الفكرة، المعايشة، التحفيز، رؤية المدى، التوقف وانفتاح الاختيار.

عند خط حدود النهاية في النص ربما لا يتوجب المكوث طويلًا، والوقوف المتجمد ليس قدرًا أبديًّا، إنما قرارٌ فرديٌّ يفتح بداية أخرى مختارة لعالم جديد آخر.

يقول عثمان: «اللغة مفتاح التغيير، الانعتاق من العبودية والتحرر النهائي». تماسك النص فنيًّا ليس عبثًا فوضويًّا، والبحث عن النفس ليس ضياعًا.. ترويض اللغة الشعرية لكي تنسجم وتتابع زمن تكوينها المتجدد هو ابتكار صوفي على أي حال. لكنه هنا يجمع شتات الحيرة، يغربلها، يضعها في زمان ومكان الواقع، ثم يدفعها إلى الأمام نحو الحدث براحة كفه.

إنه توثيق الحدث دون الإغراق في تفاصيله، هو حوار مع الأنا التي لا تمثل بالضرورة أنا المتحدث، إنما قد تمثل الآخر، وقد تكون أنا الجماعة أحيانًا كثيرة، ها هو يلعب، يركض، ينام، يفرح، يحزن، يعشق، يكره، يتشاجر، يمرح، يعلم، يقود، يشجع، يوبخ، يعاقب، يحاكم، يجوع، يعطش، يبرد، يمرض، يموت ويحيا من جديد معها.

ليس أمام اللغة إلا أن تطيعه فهو أمهر المروِّضين، اللغة هي الصديق الوفي عند الشدائد، ميدان حسم المعركة، هي العودة إلى البيت الآمن، هي سفر التكوين وكينونة الكلمة، هي الفكرة والأفكار، الفهم والمفهوم هي القُدْس والمقدَّس، الخلاصة والخلاص، الألم والأمل، هي الجسد والتجسيد وهي روحه الحالمة إلى أبد الآبدين.

أوقـــات العبيد

مثل البويضات غير المخصبة
المتدفقة في حلم عميق
مثل النخيل التي لم تحظَ بالصواعيد
مثل السواقي الجافة
مثل وطن بلا قانون
وشعب بلا حرية
مثل رأس بلا ذاكرة
وقلب بلا نبض
مثل أغانٍ بلا مغنين
مثل بيت بلا أطفال
هكذا هي أوقات العبيد
موت بلا نهاية

ويقولون لي:
صبرًا أيها الرجل
أولئك الذين لا يملكون بويضة واحدة
غير القادرين على صعود النخل
وإرواء الحقول
وحماية القانون
والعيش بحرية
أولئك الذين لا يتذكرون
ولا تنبض قلوبهم
ولا يغنون

أولئك يقولون لي صبرًا أيها الرجل
والوقت شريان مقطوع
ومصرف الدم مقفل الأبواب
والناس مقابر وسجون وثكنات عسكرية

فالعقي أيتها الأيام
العقي دم وقتي المسفوح
لم يلبس القطن ثوب الحداد على ضحاياه

ولم يفُحْ الرز برائحة العنبر
والبعوض
البعوض في المستنقعات
لم يشفق يومًا على الأجساد العارية
ويقولون لي صبرًا أيها الرجل

إنهم يقتلون أيامي
أيامي التي لا تحلم في الكثير
والتي تُمنع من أن تكون شيئًا آخر
غير جثة مباركة
ويقولون لي:
صبرًا أيها الرجل
أولئك العبيد...

❊ ❊ ❊

هلا جربتم

هذا اليوم المشمس
من أجمل أيامي
لم يوقظني اليوم نهيق الساعة
أيقظني ديك مجهول يحرص أن يستقبل يوميًّا
-وبذات الصوت- رسولَ الشمس
ما أعظم أن تصحو يوميًّا قبل الديك
لتفتح عين الشمس على الأرض
هلَّا جربتم

إني سأجرب هذا العشق
وسأجعله عشقًا متوارثًا
رغم وجود السكين
الديك صديق مخلص

لا يخشى أن نستيقظ قبله
أن نوقظه كل صباح
كي يستقبل يوميًّا وبذات الصوت
رسول الشمس
هلَّا جربتم

هذا اليوم المشمس
من أجمل أيامي
أيقظني الديك لأني لم أتناول أقراص النوم
ولأني فكرت
في الوجه المشرق للعالم
ولأني نمت على ظهري
كنبيٍّ
ورسمت على شفتي
صلاة خالصة
لليوم الآتي
هلَّا جربتم...

الحريـــــــة

أعرف ذلك
لا أحتاج إلى مَن يخبرني
فأنا أعرف ذلك!!

هل تحتاج الأرض إلى مَن يخبرها
أن الأرض كروية؟

هل تحتاج الشمس إلى مَن يخبرها
كيف تعيد فصول السنة
لعبتها السنوية؟

هل تحتاج زهور العباد إلى مَن يخبرها
كيف تدور الشمس؟

هل يحتاج البحر إلى مَن يخبره عن أوقات
المد وأوقات الجزر
وأوقات قدوم القمر؟
هل يحتاج العشب إلى من يخبره
كيف يكون مذاق المطر؟

وأنا
وأنا الآخر أيضًا
لا أحتاج إلى مَن يخبرني
إنكِ آتية.... أيتها الحرية.

❊ ❊ ❊

الضفة الأخرى

يوميًّا
أتعلم أشياء كثيرة
كثيرة

يوميًّا
نفس الخطوات المتقدمة
نحو الشيخوخة
نحو صحاري الموت الصامتة
نفس الخطوات
تفتح لي أبوابًا أخرى
من أبواب الألم والفرح والمعرفة

في البيت
في الشارع
في الغابة
كل شتاء يشبه سابقه
كل ربيع يشبه سابقه
لكن شتائي اليوم
لا يحمل وجه شتاء الأمس
وربيعي اليوم
لا يحمل وجه ربيع الأمس
في القلب
قلبي البشري المتعرض للأنواء المبهمة
تتغير يوميًّا كل وجوه الأشياء
قلبي يعرف كيف يحوك بساطي الريحي
بساط حياتي
في السر
في الأقبية المخبوءة تحت بساتيني الوارفة
وخيوط ضميري المتيقظ دومًا

انظرْ
انظرْ في عيني
بصفاء خالص
هل تبصر شيئًا من أمراضي الجسدية؟:
الستكماتيزم
السل
الضعف
الشيخوخة المبكرة
و....
لا تخبرني
فأنا أعرف أنواع الأسماك السابحة في أنهاري
أتمنى أن لا يأسن مائي
أتمنى أن لا أُضطر إلى هجرك
يا مَن أحتاج إليك
وتحتاج إليَّ
أتمنى أن لا أشيح بوجهي عنك
وتشيح بوجهك عني
يا.. أنت
أيتها الضفة الأخرى لنهر حياتي.

ثقب الـــــــروح

لا أعرف حـــــلًّا وسطًا
فأنا
مثل جراد جائع
ألتهم الأشيـــــــاء
بشراهة

أتلصص من ثقب الروح على جنات ممنوعة
وعصية
وأُهرِّب شهوة قلبي السكران
من ثقب الروح أُهرِّب شهوة قلبي السكران

لا يوجد شيء في العالم لا يلتهم
لا يوجد شيء في العالم لا يعشق
وبنفس القوة
أعشق مختلف الأشياء
ألمس مختلف الأشياء
ألتهم الأشياء
وبنفْس القوة
أبقر بطن جمودي
لتطير بأجنحة مدماة
رغباتي المنعتقة

لا أعرف حلًّا وسطًا
وبنفْس القوة
أحيي كل اللحظات المسروقة من ثقب الروح
هذا الثقب المتساهل دومًا
وبنفْس الغضب
أحيي كل اللحظات الميتة
لا أعرف حلًّا وسطًا

الآن....
الشهوة تغمرني
والثقب المتساهل مفتوح العينين
لا فرق
إن كنت أُهَرِّب هذه الشهوات المحمومة
في نزهة
في نزف شِعري
في صلوات صادقة
في عمل ممتع
أو في غرفة نوم
تعبق فيها رائحة امرأة وملاك
لا فرق
فبنفْس القوة
أفتح ثقب الروح على العالم
وبنفْس القوة
أطلق شلالات القلب
وأحرر كل خيولي البرية...

لكيلا أشتمكم

أية قـــــوة
تدعو هذا الصرصار إلى إطلاق نداء الحب
الباعث في أنثاه
رعشات مبهمة؟

إنه يزعجكم جدًّا
هذا الصوت
لكن لا تنسوا
أنه سر خلود النوع الصرصاري
وأنه أجمل شيء يعرفه الصرصار
فلماذا يزعجكم صرصار يدعو أنثاه
إلى تأكيد حياتهما المتواضعة؟

ولكيلا أشتمكم
سأقوم لأرقص وحدي
رقصة قتل الثيران

أيتها الحشرة
يا صاحبة الصوت المبهم،
غَنِّي؛
لنتعلم شيئًا مـــــا.

❊ ❊ ❊

مـــــرض

هـــــــه!!
عقل فاســـــــــــد
روح فاســـــــــدة
وخيال فاســـــــــد
هـــــــــه!!

مَن يُصلح هذا كله؟
وينقي عقلي
روحي
وخيالي؟
مَن يقدر منكم؟

العقلاء؟
علماء النفس؟
عيادات الطب النفسي؟
مَن يدحر هذا المرض المستعصي؟

مرض الإحساس المفرط بالأشياء
مرض الإخلاص الكلي
لحياة وخاذة
مَن يدحر هذا المرض المستعصي؟
مرض الكشف عن المخبوء
مَن يجتث شذوذي؟

يا أندريه
مرضي
وجنوني
مفتاح سحري
يفتح كل الأبواب المغلقة
ريح عاتية
تسقط كل الأقنعة
هو ذا مرضي وجنوني
هو ذا موطن دائي
فما رأيك يا أندريه؟
شاهدت أمامي أدوارًا مختلفة
لكني فضلت جنوني
ومطاردة العقلاء لعقلي

في أروقة المستشفى
بوثاقهم المعتاد

إني أتحمل يا أندريه
مسؤولية إخلالي المتعمد والمقصود
بأمن المستشفى
مسؤولية كسر زجاج وأقفال المستشفى
مسؤولية هدمي اليومي لأسوار المستشفى
ما أحوج هذا المستشفى
لمجانين مثلي
ولأمراض عقلية
مثل المرض المستعصي في رأسي
آه....يا أندريه
أوَتعتقد
أنا سنرى ونشارك في إلغاء المستشفى؟
ليس ضروريًّا أن نشهد ذلك
أوليس كذلك؟
إن الأكثر إلحاحًا وضرورة
هو أن نبقى مرضى.

هكذا هي

لماذا تمتلئ عيناي بالدموع؟
فأنا لست تعيسًا إلى هذا الحد
ولست سعيدًا إلى هذا الحد
فلماذا تمتلئ عيناي بالدموع
وأنا أنظر إلى التلال التي لم ترتوي بعرقي من قبل
ولم أنصب فوقها خيمتي
ولم أزرع أية ذكرى هناك
فلماذا تمتلئ عيناي بالدموع؟
آه ... أيها النور الغامض
يا مَن تشع من حيث لا أدري
لتملأ قلبي جمرًا
وعيوني دموعًا
بعيدًا عن التعاسة والسعادة الأرضيين
من التراب لكن بعيدًا عنه
ومن السماء ولكن بعيدًا عنها

أيها النبع المتفجر من صخري
ألا تبوح لي بالسر
رغم أننا لم نزل أصغر من أن نفهم
كيمياء الروح

لست تعيسًا إلى هذا الحد
ولست سعيدًا إلى هذا الحد
فابنة مَن أنتِ أيتها الدموع؟
لا أمل ولا خوف ولا ذكرى
شعلة نقية
ليست مدينة بشيء لأعواد الثقاب
ولا تحمل ضغينة لأحد
لأنها بلا أمل ولا خوف ولا ذكرى
هكذا هي
ابنة لأب لم يُفصح عن اسمه
وكما تتلقح الأزهار
تتلقح روحي
فتمتلئ عيناي بالدموع
عندما يمر الأب الذي
لا يُفصح عن اسمه.

تـآخٍ

إني أبحث بلا توقف
أبحث بحثًا مهلكًا
عن الإخاء

سهل أن أتآخى مع شجرة
أو مع عصفور
أو مع صخرة
إن ذلك مر سهل
سهل جدًّا يا قتلتي
ولكنه غير كافٍ
ما دمتم مستمرين في قطع الأشجار
وصيد العصافير
وفلق الذرة

إن ما أريده حقيقة
هو أن أتآخى معكم
ولكن الانهيارات المستمرة
تسد الطريق بيننا
بجبال من الحماقات
حماقاتكم
وأنا أبحث بحثًا مهلكًا
عن فرصة واحدة
لأتآخى معكم
معكم أنتم
يا قتلتي.

❊ ❊ ❊

إلى هذا الحد من اللا أهمية

مثلي
أنت مثلي أيها القارب
مسلوب الحرية
على شاطئ النهر
أسلمك الصياد الكسول
لقوة المرساة
وفي القاع
في القاع المجهول
كنوايا سلطان دموي
تنغرز حريتك المسلوبة
تحت وطأة صمت المرساة
أنت مثلي
مثلي تمامًا
يعذبك خرير الماء

مثلما يعذبني دبيب الحياة
كلانا على الشاطئ
تخنقنا المرساة
كلانا ترفرف أجنحة رغباتنا بلا جدوى
كنورس مشدود إلى عربة
كسمكة في قنينة دواء
يا صديقي
إنها تداعبك
هذه الأمواج الناعمة
إنها تداعب كل شيء تلتقيه في طريقها
لأن هذا المساء الآياري هادئ الطبع
إنها غير شاعرة بك
ولا بالمرساة
كل شيء يستوي عندها
كل شيء فانٍ
خشبك سيتحطم في يوم ما
وقد يستعان به لصنع تابوت
أنت لا تلد يا صديقي
وحتى أنا

أنا المخبئ في صلبي أسرار الإنجاب
لا تأبه لي أمواج الحياة
لا أعني شيئًا
ليس أكثر مما تعنيه ضفدعة
أو قنينة فارغة
شيء محزن أن تكون إلى هذا الحد من اللا أهمية
والأمل..
أمل ليس فينا يا صديقي
ليس في أنواتنا
الأمل في النوع
في أن تبقى القوارب مبحرة على سطح الماء
في أن تبقى الرئات تتنفس الهواء
بعذاب أقل من عذابنا
ولعلنا من أجل هذا نجاهد المراسي
ونصابر
لعلنا من أجل هذا
نعايش بذرة الفناء
ونتناسى في غمرة الحياة
حكم الإعدام.

القلوب العمياء

الساعات الهنيئة قليلة
قليلة هي الساعات الهنيئة
التي نحلبها من ضرع الآخرين
لكنها مبعثرة هنا وهناك

السعادات الخالصة
الأفراح النقية
بلا مقابل
بلا منة
ممنوحة بلا ابتذال
وخالدة بلا تمنع
مسكينة هي القلوب المصابة بالعمى

والأرواح المصابة بالصمم
الظلال الأخاذة
والأصوات الجميلة
تسقط مثل حجر ثقيل
في آبارها الفارغة.

❊ ❊ ❊

ارتعش أيها القلب

ارتعش
يا قلبي
مثل سعلاة طيبة مبللة بالندى
تسعى في الأرض بحثًا عن قوتها
مدفوعة بغرائزها الخالية من كل شائبة
ارتعش
في هذا الفجر المندى
فالوقت ما زال مبكرًا على استيقاظ الأعداء
متورمي العيون
وأقطف فواكه السعادة الخالصة
من شجرة الحياة الوارفة الظلال
ولا تُعِرْ أي اهتمام للأفاعي المنهكة

الملتفة على غصونها
ففي شجرة الحياة
لا بد أن يكون هناك غصن لم تدنسه الأفاعي
وهذه اللحظات الفجرية الرائعة
أغصان غير مدنسة
فارتعش يا قلبي
فالوقت ما زال مبكرًا على الهموم والقتال
تزود بالقوة قبل أن تدق الشمس طبول الحرب
في يوم جديد
من أيام معاركك الشريفة
ضاجع السعادة كثور ممتلئ وقوي
على صدر العشب الخالي من كل أمراضنا
داعب السعادة
هذه السيدة الجميلة التي عميت عنها العيون
داعبها في عقر وكرها
وعلى فراشها الذي لا تدنسه كثرة المواقعة
هذه المرأة العذراء الممنوحة
اقتنصها قبل أن تختفي اشمئزازًا من
صيحات الحرب

وانتشار رائحة الكراهية
أيتها السيدة
إنهم يصقلون اللآلئ
ويُخلِّصون المعادن من الشوائب
ويشنون الحروب من أجلها
وجسدكِ الصافي
مثل نبع إلهي
النقي من كل الشوائب والعوالق
مهمل على هذه الأرض المدنسة بالقلوب الجاحدة

لذلك أنا أحب
لذلك أنا أقاتل
فقلبي المتعطش
الهائم بحبكِ الآسر
لا يكتفي بهذه اللحظات الهنيئة المسروقة
إن أكثر الناس لا يعرفون الطريق إلى وكركِ المؤقت
ولا يعرفون أسماءكِ الحركية
وأنا أريد أن يكون لكِ بيتٌ معروفٌ
وأرضٌ معروفة

أريد أن يكون لكِ الوقت كله
لذلك أنا أقاتل

ارتعش
ارتعش أيها القلب
بكل عنفوانك
ولا تفكر في غير الارتعاش
فلا بد أن يكون لكل شيء حقيقي
بيت حقيقي
واسم حقيقي
مثلما للشمس بيت
فارتعش
ارتعش يا قلبي

❊ ❊ ❊

كل ليلــة

كل ليلة
كلما جاء الظلام المتعفن
نفس الظلام
بقيحه الأسود
بدمامله الموجعة
أفتح عيوني متعمدًا
في وحل مأساة مؤرقة
كيلا أسلم لحظة واحدة
من طعنات الحقيقة
أدفع حصاني
أدفعه إلى أمام
وعندما يسقط
يسقط متحررًا من كل عار
بلا ندم

تقدمي يا عقارب الساعات
حول أي معصم كنتِ
علي أي حائط كنتِ
تقدمي مباركة الخطى
مشفوعة بالتأييد
ففي كلل تكة من تكاتك النائمة
صرخة جبارة
ونقلة قدم
وعند مرافئ تكاتكِ
تبحر أو ترسو
بلا انقطاع
مراكب مختلفة الأهواء
تقدمي يا عقارب الساعات
فليست الأشرعة هي وحدها التي تتقدم
فكل شيء في المراكب
يحاول أن يكون أكثر انسجامًا مع البحر
والقراصنة-
القراصنة وحدهم هم الذين يخسرون
السباق معكِ -

وصية

إنهم يشدونني إلى المكاتب
بكسرة الخبز
إنهم يشدونني إلى البيت
بالشفقة و الزوجة والأطفال
إنهم --
بالمجاملة يشدونني إلى الابتسامة
وبالنفاق يشدونني إلى أنفسهم
وبالخوف يشدونني إلى القوة
وباليأس يشدونني إلى الموت
وما من أحد
ما من أحد يشدني إلى الحياة
أنا نحلة
مجرد نملة صغيرة

في مملكة النمل العملاقة
التي ضربها زلزال الفوضى
ماذا أستطيع أمام كل هذه القيود
النمل يتحرك بلا سياط
وأنا تلفحني السياط من كل جانب
السرج ثقيل على ظهري
واللجام يملئ فمي
والمهماز
هذا المهماز اللعين
هذه الوصمة
وصمة العبودية
تدمي ظهري

❊ ❊ ❊

ليـــس الآن

ها.. أيها الوهن
لا تدَّعي الحياء
ليس حيادًا أن تتركني
في ساحة الحرب
على ظهر حصان مبقور البطن
ها .. يا غريمي
أيها المرتشي الكبير
يا أرضة الزمن التي لا تعرف الرحمة
لكِ أن تنخري قاع مركبي
ولكن ليس الآن
ليس من العدل أن تفعلي ذلك الآن
الآن .. وأنا بعد
لم أذق قبل الشواطئ

إنها لخدعة كبيرة
أن أغرى بالتحليق
بأجنحة من شمع
أن أنصب قبطانًا
على سفينة منخورة
إنها..
إنها لخدعة كبيرة

* * *

لمن نغني إذَنْ

ما أكثر الأشياء المفتقدة
والكوابيس وحدها التي أتذكر
ونومي لم يذق الأحلام
منجل بلا شفرة
في موسم حصاد
صحراء بلا مطر
ومطر يتساقط في بحر
خبز بلا أفواه
وأفواه بلا خبز
امرأة ولود في سرير مخصي
ورجل منجاب في جزيرة خالية
أمة بلا حكمة
وحكمة بلا أمة

شمس تسطع فوق سجن
قمر في سماء ملبدة بالغيوم
حب من طرف واحد
آباء بلا أبناء
وأبناء بلا آباء
جمال وعمى
موسيقى وصمم
سمكة فوق رمل
ونملة في بحر
عصفور في قفص
سكة بلا قطار
قطار بلا مسافرين
عمر بلا أمل
وحياة بلا آخرين
حب بلا أرض
وأرض بلا حب
لمن تغني إذن
القلوبُ المحِبَّةُ؟

وجـــهي

أتأمل وجهي في المرآة
كنت أظنه قبل مجرد وجه
قبل تفتح زهرة قلبي
كان مجرد وجه

وجهي سنبلة
وحصاتان لإيقاد النار
في ليل الغربة
وصحيفة أخبار
لا يعرف كيف يعطلها قانون المطبوعات
أو يرشو صاحبها ومحرر صفحة أخبار الناس

وجهي
لا تجهضه عمليات الإجهاض
ولا تمنحه عمليات التجميل معالم أخرى

أتأمل وجهي في المرآة
أقرأ نفسي
أكتشف الفرق الهائل بين الإنسان
وبين قطيع يرعى في أرض جدباء.

❊ ❊ ❊

خيبـــــة

أتخلص من سجن حواسي الأرضية
أدفنها في الوحل مع الجسد الطيني
أرميها في مستنقع هذا العالم

إني أتحرر من كل خيوط عناكب هذا الجسد
الغارق في العتمة والزاحف تحت الأرض
أتحرر من شهواته
من معدنه
أتحرر من كل قيود الأرض وأخطو الخطوات
الأولى في درب يأخذني حيث أرى الأشياء بروحي
وأشم الأشياء بروحي
ألمسها، أتذوقها، أسمعها بالروح
ما عدت سجين حواسي الأرضية

ما عدت سجين الجسد القابل للكسر وللحرق
وللمـــــــــــوت
إني أتحرر من جوعي..من ظمئي.. من شبقي
من دوران الأرض ومن أسر قوانين الزمن
وولائي للعمر
أعبر وادي الشوك ووادي الحزن ووادي الرغبات
منعتقًا من شرنقتي
أمحو آثاري، أقطع حبلي السري
المشدود إلى تلك الأشياء الميتة
إني أولد توًّا
توًّا

أشعر بالخيبة حين تذكرني آلام الأسنان
بأني ما زلت قريبًا من سطح الأرض
ما زلت أسيرًا في بيت طيني يوشك أن يتهدم
آلام الأسنان تذكرني بحرارة صيف الوشاش
بنهر الخر الآسن
وتذكرني بالسل القابع في صدر الريف وفي صدري
أشعر بالخيبة إذ أتذكر أني ما زلت قريبًا من سطح الأرض

صرخات الجسد المجنون تعيق الرؤيا
آلام الأسنان تعيق الرؤيا
وسعال السل يعيق الرؤيا
أشعر بالخيبة إذ أتذكر أني ما زلت سجين
البيت الطيب.

❊ ❊ ❊

ترن.. ترن..ترن

إنهم يضحكون من الأعماق
يضحكون على القردة المتقافزة
وراء القضبان

إنهم يضحكون
هؤلاء الأطفال المساكين
غير شاعرين
بالنهر الذي يجري من تحتهم
حاملًا قواربهم
بلا اكتراث ولا تعاطف
إنهم سعداء

لأنهم لم يلقموا بعد
ثمرة الألم
إنهم سعداء

لأنهم لم يعرفوا بعد
أية فلسفة من الفلسفات
ولم يعرفوا أية حكمة من الحكم

إنهم سعداء
لأن الشيء الوحيد الذي يعرفونه
هو اللعب
صغار الأسود تبقى قططًا جميلة
إلى أن ترث الزئير
عندها تبدو جنرالات
أو رجال أعمال
وصغار الأغنام
لكم تبدو سعيدة وجميلة
في المراعي الخضر
والأجراس في أعناقها تغني:
(ترن..ترن..ترن)
جاهلة تمامًا بأنها تُسمن
وبأن النهر يجري من تحتها
بلا اكتراث ولا تعاطف.

أليست هي؟

اللون أخو الكلمة
والكلمة أخت النغمة
مَن ينكر أن فان كوخ
هو أخ حقيقي لنيتشه؟
ومن ينكر أن نيتشه
هو أخ حقيقي لبيتهوفن؟

أيها المجانين
أنتم إخوة من أب واحد هو الحزن
ومن أمة واحدة هي الحقيقة
هل تقبلونني بينكم يا إخوتي؟

أعرف كم هو باهظ
ثمن ذلك!!
وأعرف كم هي دامية
شهادة الميلاد
شهادة ميلادي

في جنتكم المهلكة
أنا عندي من الحزن
ما يكفي لأن أنتمي إلى هذه الأسرة المباركة
الأسرة الجوالة في جحيم الأسئلة
وعندي من الجوع إلى الحقيقة
ما يكفي لأن أنتمي إلى شهداء الأبدية
أليست هي؟
هي تلك المعشوقة الساحرة
المعشوقة التي اختطفت قلوبنا جميعًا
وتركتنا على الطريق
عراة من كل الأفراح الغبية
من كل السذاجات الرحيمة
من كل ما يجعلنا قادرين على الاحتمال
على احتمال العودة إلى الحظيرة
لنمضغ اللجامات
ونحك الظهور بالسروج
تركتنا نلهث وراءها
على الطريق؟
أليست هي تلك المعشوقة
أليست هي ... الأبدية.

سُـــدى

سُدى... سُدى
دمـــي يصيح صيحة القيامة
ويشرب البحار
ويأكل المدى
يصيح في الكهوف، في الشوارع
فلا يجيبه سوى الصدى
سُدى... سُدى

لا يسمع النداء يا دمي
ولا يجيب
سوى الردى
سُدى...سُدى
ولا تنام يا دمي.. وكيف يا دمي تنام؟

والنار تأكل النذور
وتأكل الأشجار والأعشاش والطيور
وأنت في جحيمها
تبارك اليوم الذي مضى
من عمرنا المقتول
وتغسل التراب والأعشاب بالندى
وتهمس للقلب أنني غدًا
أصيح صيحة القيامة
وأشرب البحار
وآكل المدى

حتَّامَ يا دمي تصيح
وتسمع الصدى
يجيب ساخرًا
سُدى... سُدى

❊ ❊ ❊

النعل والقدم

منتشيًا
وسعيدًا كإله
أراقبكم من عرشي

وبلا مبالاة
أُحصي أحزان الأغبياء
وسعادات المجانين

ومحايدًا كصخرة
أتفرج على القاتل والمقتول
لا بقوة المعرفة
بل بمعرفة القوة
أنصب نفسي سيدًا
على ضعفكم المخجل
النصر هو الحق

والحق الخاسر شاة لمن يذبح
هي ذي شريعتكم
ولا أريد أن أكون شاة

أن أكون مدعاة للحقد
خير من أن أكون مدعاة للشفقة
إنه الاختيار بين النعل والقدم
بين الانسحاق والسحق
والصراع منذ الأزل
بين الأقدام
وليست للأقدام عيون
والليل أطول من النهار
بظلام النفوس

لماذا أكون شمعة فانية في ليل مقيم؟!
أفضل أن أكون خفاشًا
أو حتى سعلاة
أو...
أشعلوا شموعكم
لأشعل شمعتي

كيف يموت الحزن سرورًا؟!

يا رب، تعذبت كثيرًا
وتغربت كثيرًا
يا رب؛ تجولت
وصادقت جمع المدن البلهاء
جميع المدن الممنوعة
صيفًا وشتاء
لحظات ودهورًا
يا رب،
ورافقت الحزن عصورًا وعصورًا
وتزوجت الحزن عصورًا وعصورًا
وولدت الحزن إناثًا وذكورًا
ما فارقني
ما طلقني
ما علمني كيف يموت الحزن سرورًا!

التوبة المستحيلة

يا قلب، لقد أشقاك اللهُ وأشقاني
فرماك بنفسي الأمارة بالحب
وبحبك للناس رماني
لو كنا نقدر يا قلب لتبنا
لكن كيف نتوب عن الحب
وكيف نتوب عن الأحزان؟

إني أجد الدنيا أصغر من كفي
إني أجد الآمال جميعًا
أصغر من إنساني.

* * *

الرزق الحلال

يا صدري المزروع بالنبالِ
والسل والسعالِ
عذرًا إذا أذاك حزني وانفعالي
فإنني يسرني احتراقك المجيد
بشعلة النضالِ
وما ندمت لحظة
ولم أبالِ
إنَّ هذا بعض رزقك الحلالِ.

* * *

العمى الرائي

القصة كل القصة
أني ما عدت أرى الأشياء بعيني
وأُصبت كما يبدو
بعمى الألوان الأرضية

القصة كل القصة
أني أفقه، لا أدري كيف،
لغات الأشياء
فأخاطبها
وتُخاطبني
خاطبت النحل
وخاطبت النمل
وخاطبت الأسماك، الأشجار، الأزهار

الصخر، البحر، المطر
وأقمت مع هذه الأشياء
علاقة حب عذرية

ولأني لم أتآمر يومًا
ولأني ما خنت أشياء
النفس، القلب
تقرر كشف الأسرار أمامي
تعليمي كل لغات ولهجات الأشياء
وتقرر جعلي الناطق باسم الأشياء

إني أنطق رسميًّا باسم الأشياء
أصدرت بياني الأول
بعد المؤتمر الأول للحب
وأدنَّا فيه الإنسان
حاولت أقرب وجهات النظر
لكن المؤتمرين اعتذروا
وأدانوكم بالإجماع
فخجلت وبكيت

إلا أن الدمع
لم يغسل عاري
أيدت قرار الخلع
صادقت عليه
صفقت مع الأشياء بصدق
وبكيت بصدق:
«يا ملكي المخلوع
إني أشعر بالخجل الساحق».

❊ ❊ ❊

تلقيـــم

جئت إلى العالم
قطرة ماء
أنزلها الله كما أنزل آدم في الجنة
كنت ملاكًا في جنة طفل
لم يدخلها الشيطان
صادقت ملائكة الله فجنبني أشجار التفاح
كانت كل الأشياء ملائكة
لا أدري كيف خرجت من الجنة
بدأت رحلة طردي
يوم تقرر في دائرة الأحوال المدنية
إطعامي أول قطعة تفاح
علمني كاتب دائرة الأحوال المدنية
كيف أراوغ حارس أبواب الجنة

علمني فن عبور الأسوار
لقطف التفاح
وتوزيعه بالإكراه على الأطفال:
«مَن ينجح في هذا الفن
سينال وظيفة كاتب
في دائرة الأحوال المدنية».

ونسينا أنَّا قطرة ماء
ونسينا الجنة
لسهولة فن عبور الأسوار لقطف التفاح
لسهولة إخراج الناس من الجنة.

❊ ❊ ❊

رجل بلا قلب

إذا انطفأت النار في الموقد
فكل ما نحتاجه
هو أن نوقد نارًا جديدة

الحزن والبكاء
يتطلبان وقتًا
والوقت ملك المستقبل

اعذرني أيها الرجل الغريق
أنت
يا من تطفو هناك
وسط النهر
منتفخًا كقربة
اعذرني

واغفر لي عدم اهتمامي
فلقد انطفأت النار
وانتهى كل شيء
إني أفكر بالسمك الباحث عن قوته
وفي الصياد المنتظر أن تمتلئ شباكه
وفي بائعات السمك
وفي الأفواه

لست رجلًا بلا قلب
وإن كنت تصر على أني كذلك
فلا بأس
لأن رجلًا بلا قلب مثلي
خير من قلب بلا رجل.

❊ ❊ ❊

أيامنا المنتهى منها

إنها ملكات غير مخصبات
أشجار غير ملقحة
جزر نائية..مجهولة
نساء عوانس
أيامي... أيامي الميتة
أستطيع أن ألمس بيدي
-إلى حد الاحتراق-
حزن النساء العاقرات
ويغضبني إلى درجة الجنون
مرأى نواة في مطفأة سجائر
إلى هذا الحد هي تافهة وغير مهمة حياتنا
مطفأة السجائر مليئة بأيامنا المنتهى منها
مليئة بنا
والزمن طرف محايد.

أغنية الأيام

أغنية حزينة
أغنية الأيام
أيامنا الباطلة
اسمعيها يا صديقتي
اسمعيها جيدًا
كي تعذريني إذا ما اعتذرتُ
عن السباحة في حوضكِ المعطر
كي تغفري لي قسوتي الرحيمة

النحلة تصنع العسل
لكنَّ عشرين لسعة منها
تساوي لدغة ثعبان

اسمعيها جيدًا
أغنية الأيام الحزينة.

من هنا تبدأ مشاكلنا

كل شيء له اسم
اسمه الذي لا يعرف كيف التصق به
وكل اسم له حامل
حامله الذي لا يعرف كيف التصق به
الحجر لا يستطيع أن يكون سوى حجر
والقطة لا تستطيع أن تكون سوى قطة

نحن وحدنا نستطيع أن نكون شيئًا آخر
غير الإنسان
شيئًا أكثر سموًّا
أو شيئًا لا مثيل له في القذارة

ومشاكلنا
كل مشاكلنا تبدأ من هنا

من قدرتنا على التحول
ومن قدرتنا على تحويل الأشياء
كل شيء له صوت واحد
صوته الوحيد المنادي من الأعماق
ونحن وحدنا لنا في كل حين صوت
ولأصواتنا في كل حين نبرة
كل شيء لأعماقه قاع
ونحن وحدنا لا قيعان لأعماقنا
كل شيء له مدى
واللا مدى....
اللا مدى لنا وحدنا

آه... كم هي عظيمة ومؤلمة
قدرتنا المدهشة هذه
قدرتنا على أن نكون أي شيء نريد
أحجارًا
حيوانات
آلهة
ومن هنا تبدأ مشاكلنا!!

ماذا بعـــد ذلك؟!

أي نوع من الاشتهاءات أنتِ
يا اشتهاءاتي
من أية ينابيع في الروح تتدفقين؟
بلا انقطاع تتدفقين
سيولًا من الشهقات والاندهاشات والغبطات
جارفة حصاني المرهق
لا ترحمي حصاني
ولا تأخذك الشفقة عليه
فاللهاث حتى الموت
خير من الموت تخمة في اسطبل

أي نوع من الاشتهاءات أنتِ
يا اشتهاءاتي؟
رقصات بدائية

نيران احتفالات صاخبة
الغوص عميقًا ... عميقًا في نشوات غامضة
غير مسماة
وغير قابلة للشرح
يا للحماقات الجميلة
الحماقات المبرأة من الندم والخجل
يا للذنوب النقية
المبرأة من التوبة والتكفير
أنتِ صلوات... يا اشتهاءاتي
صلوات مخلصة في معبد الله الكبير
حيث للحصاة حظوة اللؤلؤة
وللدودة حظوة الإنسان
شهية حريق... هي شهيتي
والاكتواءات قبل لذيذة

لقد مُنحناها... هذه الحياة... لننتصر
ماذا بعد ذلك؟
الموت؟
إنه ليس أكثر من لسعة بعوضة!!

جميل ومبارك

جميلٌ
جميلٌ ومبارك أنت
يا أخي
ومن بين الجيران
من بينهم جميعًا
أنت وحدك الذي منحت شرف الاختيار
ومن بينهم جميعًا
أنت وحدك الذي تستطيع أن تفعل ما تريد
البيوت المجاورة
كل البيوت المجاورة
لها كوة واحدة
تطل على العالم
والبيت الوحيد المزين بآلاف الأبواب والنوافذ
هو بيتك أنت

الحيوات الأخرى
حيوات جيرانك المتواضعة
لا تعرف سوى نكهة واحدة
وحياتك وحدها، هي التي تعرف كل النكهات
النور يأتيهم بقدر
كل بيت له شمسه الصغيرة التي لا تنطفئ
شمسه المقدرة
وأنت وحدك الذي لك أن توقد ما تريد
من الشموس
ولك أن تنشر ما تريد من الظلام
سيدًا لكل العبيد
أو عبدًا لكل السادة
جميل
جميل ومبارك أنت
يا أخي.

❊ ❊ ❊

قلوب مهجورة

بيوت عناكب
أحلامكم المفترسة
وأشراك صيادين قساة القلوب
هي أمنياتكم
وقلوبكم المهجورة
مليئة بالأفاعي والعقارب والحشرات
النهار... النهار
أو يمكن أن يبقى فاقدًا وعيه إلى الأبد
لمَن تعتق الشمس أنوارها؟
ولمَن تطبخ الأرض حيواتها
إن لم تكن هناك مائدة نهارية؟

الدغيني أيتها العقارب
الدغيني
فالدم الخالي من سمومكِ
هو حروف بلا نقاط
أشياء غير مسماة
رسائل بلا عناوين
قبور بلا شواهد

الدغيني
الدغيني أيتها العقارب
وحصِّني دمي المقطر
بنعمة احتقاري لكِ
لقحيني ضد شلل الضمير

اللدغ موجع
إنه موجع
لكن الخواء أوجع.

هكذا إذَنْ

هكذا...
هكذا إذَنْ!!
بلا ثمن يقطفون الثمار من أشجارنا الغالية
في أوج الربيع
تنتصب عارية وموحشة
وتحت وهج الشمس
وضوء القمر
تبحث مفجوعة
عن ظلها المسروق

هكذا إذَنْ!!
هكذا يفعلون بكِ
يا أشجارنا الغالية
والزمن...

الزمن هناك... معلق في الفراغ
يتفرج على الأوهام
والحياة أغنية متحجرة

في يوم ما
في اليوم المتحرر من دوار التنافر
سيكتشفونها
أغنية حياتنا المتحجرة
مثل حيوان منقرض
وستفلت من الأعماق آهة حزينة
وعبارة مواسية
في ذلك اليوم المجيد
يومكم أنتم
يا إخوتي الذين ما زلتم أفكارًا
في ضمير المستقبل.

❊ ❊ ❊

موت مبكر

هل تعرفون شجرة
تكبر فجأة لتموت؟
تموت قبل أن تعرف طعم الإثمار
ونعمة الإيراق؟

ليس الهواء وحده
قابلًا للتفريغ
الزمن أيضًا
قابل للتفريغ
مثل صندوق زجاجي
يمكن أن يكون العمر
فارغًا من الحياة
وفي مثل هذا الصندوق
تكبر أشجارنا فجأة
لتموت
قبل أن تعرف طعم الإثمار
ونعمة الإيراق.

حياة حشرة

صغيرة وسعيدة
أصغر من ظفر
وأسعد من ملك
إنها مبرأة من كل خطيئة
ونقية من كل دنس
لغتها واحدة
وقاموسها بسيط
لأنه خالٍ من كلمة (أنا)
إنها تعمل بلا كلل
لأنها تعرف جيدًا
بالفطرة
أنها رأس المال الأثمن
ولا أحد يستطيع قلب المعادلة
ولأنها تعرف أيضًا

بأن سوء التوزيع
مجرد عادة بشرية
إنها تعمل بلا كلل
لأن العمل من أعيادها اليومية
حياتها القصيرة
ممتلئة ومعطاء
لأنها خالية من الوحدة والبطالة.

❊ ❊ ❊

رغبـــــة

أريد أن أبوح
أشتهي بقوة أن أبوح
أن أهمس لكم بسري
وأخرج من قاموس الخفاء
كلمة السر البواحة

الفلاحون العصريون
دائمًا يزرعون البذور الأكثر ربحًا
والصداقة
زهرة برية
وفي هذا القفص الكونكريتي
لا تقاوم الصداقة ملوحة التهديد
ولا تعيش لأكثر من غلطة.

مَن يمنُّ عليَّ
بمثل هذا الحظ السعيد

لماذا الحزن أقرب من السعادة؟
والموت أسهل من الولادة؟
لماذا نتذكر كم بكينا
ولا نتذكر كم ضحكنا؟

الغناء سهل
سهل إلى درجة مفجعة
العمر يمضي مثل عربة
تنحدر نحو هاوية

فطوبى لمَن يجهل ذلك
طوبى لمَن يتمتع بالوقت وبروعة الطريق نحو الهاوية

طوبى لمَن لا تنغص عليه المعرفة
سعادة الجهل
ولمَن لا تفسد عليه مرارة الحقيقة
حلاوة العمى

ويا أسفي وحزني عليك أنت
أنت..
يا مَن ترى المنحدر والهاوية
أيها الشاعر
لماذا تفتح كل هذه العيون العرافة؟
إن العيون المرايا وحدها القادرة
على سكب السلام في القلوب
في القلوب الصغيرة الساذجة
فمَن يمن عليَّ بمثل هذا الحظ السعيد؟
أوه...
أو حقًّا أتمنى أن أكون كذلك؟
يبدو أن وترًا ما، من أوتار قيثارتي
قد انقطع
وأن إصلاحه لا يستغرق أكثر من وخزة ضمير

وسرعان ما أعود إلى العزف والغناء على المنحدر
ممجدًا الحياة
وغافرًا للبشر كل حماقاتهم
ومتناسيًا قلبي المربوط إلى عجلة العربة
المسحوق إثر كل دورة من دورانها الأهوج
المنحدر بقوة مليون حصان أعمى
نحو الهاوية...

❊ ❊ ❊

من سرٍّ إلى سرٍّ

بقلب واجف
أمشي على الأرض
خوفًا على أصدقائي الصغار
أصدقائي المتواضعين
الذين لا يعلنون عن حضورهم
العاملين بصمتٍ وجدٍّ
كآلهة

بقلب واجف
أمشي
خوفًا من أن أسحق بحذائي
قيثارًا ما
فأُسكت أغنية

نحن كبار أكثر مما يجب
ورؤوسنا عالية أكثر مما يجب
لذلك
غالبًا ما يفوتنا
سماع الموسيقى الخالصة
الموسيقى المنبعثة من النايات والقيثارات
قبل أن تكون نايات وقيثارات
الموسيقى المنبعثة من الأجنحة
ومما لا ندري من أين!!
الموسيقى التي تُرى وتُشم، وتُمسك باليد
كأي كائن وثير
الموسيقى التي تقود القلب
يدًا بيد
إلى الفرح العارف
والسعادة الحكيمة

آه...
يا رأسي
سأدحرجك على أرض النشدان

من سر إلى سر
من ألم إلى ألم
ومن فرحة إلى فرحة
يجب أن لا يضيع الوقت
حتى في التقاط الأنفاس
لأن صديقينا
الزمن
والموت
لن يتساهلا في أداء الواجب
ولأن الثياب تبلى
كل الثياب تبلى
خيطًا... خيطًا
يجب أن تحترق ثيابي
بنعيم النشدان
وخيطًا خيطًا
يجب أن تنعم ثيابي
بنار النشدان.

طنيـــن

إني أسمع طنينًا أسود
ينبعث من شراييكم
هل بدأتم تربون الذباب؟

النحل بلا ملكات
وحجرات النحل بلا عسل
والورد بلا رحيق
والفصول بلا ربيع
ذلكم هو حال الحدائق الزجاجية

مجانين
أنتم مجانين
لماذا جعلتم الذهب أكرم من الحديد؟
واللؤلؤ أكرم من السمك؟
والحجارة أكرم من التراب؟
والملك أكرم من الفلاح؟

لماذا؟
لماذا تربون الذباب في شراييكم؟
وتربون العصافير في الأقفاص؟
خشب
مجرد خشب
هو الناي والقيثار
والهواء والروح والأنامل
تصنع الأنغام
وقاعاتكم الموسيقية
مفرغة من الهواء
لأنه سيد الملقحين
السيف في يد قائد الأوركسترا
يرسم أنغامكم المذبوحة
والدم
الدم يملأ الآذان
والطنين في شراييكم
وحده هو المسموع
لا عجب إذَنْ
أن تقتسموا أنتم والذباب
مائدة الحياة.

أراء

جلس الشعراءُ على نجمٍ فضي
قالوا:
«العالم محض خيال».

جلس الحكماءُ على جدرانِ الزمن
قالوا:
«العالم موت دويلات
وظهور دويلات».

جلس الفقراء على الأرض
لم يعطوا رأيًا في العالم
لكنَّهمُ
مسحوا آثار الساعات الحلوة
فتساقطت الحبات الفضية
لتقول: «أنا العالم»،
ولترسم فوق الأرض
حدود الجنس البشري.

النَّفْسُ الأمارة بالحب

من أين أتيت بهذي النفْس الأمارة بالحب؟
هذي النفْس العصفورة مَن علمها التحليق
بأجنحة من شمع في النار؟
هذي النفْس الوردة مَن علمها البوح؟
هذي النفْس النسمة مَن علمها تفتح للريح
شبابيك وأبواب القلب؟
من أين أتيت بهذي النفْس الأمارة بالحب؟
من أين أتيت بهذي النفْس المحمومة؟
هذي النفْسُ، الماءُ العذبُ، المطرُ، الأرضُ
الحبلى بالتمر وبالزيتون وبالحب القادر
أن يدخل كل شرايين الكون وينشر في دمه

أزهار الحلم
يا للنفْس المدهشة
لو ألقت في البحر المالح قطرة
لتحول ملح البحر إلى سُكَّر
لو تعرف أشجار الدنيا، وعصافير الدنيا
لغة الإنسان لباحت بالحب
هل تسمع همس الغدران وتسبيح الطير؟
هل تسمع أنشودة هذا الكون
السابح في النور؟
هذي أنشودتنـــــــــا
فلماذا لا نصحو ونشارك مخلوقات اللهِ الأغنيةَ السحريةَ؟
ولماذا لا نعقد والأشياء معاهدة الصلح؟

❊ ❊ ❊

مأدبة

أسمع رائحة الصوت
صوت النار
نار دمي
النار تهسهس
أنفي تحت الشلال الأحمر
وعيوني في مقلاة الحكمة
النار تهسهس
ما تسمعه أنت
أنت الجالس في مأدبتي
يا جلادي وأخي
يا منتظرًا أطباقي الساخنة
ما تسمعه هو حريقي
متجمدة أنهار الضوء

في عينيك
الثلج يسد الحلمات
والقمحة تبقى حلمًا في الرأس
وعذابًا في رحم الأرض

هي ذي غلبة قلبي
فاحتطبوا يا إخوتي الأعداء
وبعود ثقاب
فلتعلن نار الحرية
عن ميلاد حرائقها.

❊ ❊ ❊

عجـــــز

أعترف الآن بعجزي
فتشت بلا جدوى
عن لغة
ترسم للناس حروف دمي
تشرح ثورات براكيني
وتفك رموز القلب

أعترف الآن بعجزي
أعجز كل العجز أمام رؤياي
وأمام تفتح أبواب الكون السحرية

هل تسقط في اللحظات الصوفية

أقنعة العالم؟
أم نسقط في الوهم؟
أعرف أنه ليس بوهم
اطعنِّي في القلب
لتصدق أنه ليس بوهم

لحظات الكشف علامات توحد
وبصيص من نور
يسقط عنه حجاب الروح للحظة

اطعنِّي في القلب
لتصدق أني لست بجنون.

❊ ❊ ❊

موت الشرارة

هذه آخر حافلة
والجو هنا بارد
بارد
كالصمت
في آخر حافلة ليلية

المقعد بارد
قلبي يؤلمني
وعيوني تبحث في هوس
عن أي بصيص
لكن السائق لن يتمكن من إنجادي
والريح الباردة
تأتي أكثر ما تأتي

من نافذة السائق
تلك النافذة المحكمة الإغلاق
الجو هنا بارد
كالصمت

أحني رأسي إكرامًا
لأول حرف نطقته البشرية
ولأول قدَّاح
وحصاتين
وشرارة
أحني رأسي الملتهب
وأصلي سرًّا
من أجل السائق

ما بال نوافذنا محكمة الإغلاق إلى هذا الحد
وباردة الريح إلى هذا الحد
ما بال حصانا لا يقدح؟

المسافات

أرى كل شيء بعيدًا
وإن كان بين يديَّ
لعلي أنا ليس غيري البعيد
لعلي أجهل علم المسافات
لعلي أجهل ماذا أريد
وينتابني الحزن في كل ثانية
وأشعر أني وحيد
فلا الأرض أرضي
ولا الناس ناسي
ولا الموت موتي المجيد.

* * *

أحلام

أحلـــــــم..
أحلـــــــم..
أحلـــــــم..
أحلم بالمدن العاجية، بالجـــزر المرجانيـــــــــة
بالغابات المملـــوءة ياقـــوتًا وزمـــــــــــردًا
أحلم بالجدران اللامرئية
أحلم بالإنسان اللاخائف من نفسه
من أرضه
أحلم بالليل الحامل فوق الصدر مصابيح
العرس الدائم
أحلم بالصبح الفارش صدره للأشياء لتمرح
أحلم
بهواء آخر

وبشمس أخرى
بحياة أخرى
وبصوت آخر

أحلم..
أحلم..
أحلم..
أعرف أن الأحلام معذبة
وبأن عيون الأشباح توغل في الرأس لتصطاد
شرود الذهن، حضور الذهن
أعرف لكني لا أستطيع سوى أن أحلم

ولماذا لا أحلم؟
كم أرغب أن أقضي العمر بلا ربطة عنق
وبلا ساعة يد
كم أرغب أن أمشي حافي القدمين
كم أرغب أن أحيا وأموت كما أرغب
وأهاجر ما شئت، متى شئت، مع سرب
من أسراب طيور الماء

كم أرغب أن أبني عشًّا بشريًّا فوق الكرة الأرضية
وأقيد أقدام نجوم الكرة
كي لا تتدحرج يومًا
فيصير العش هباءً
كم أحلم أن أحلم صبحًا ومساء
أن أكتب شِعرًا بجميع لغات الناس
على ألسنة الأشياء
وأقرب ما بين المطر والصحراء
كم أرغب أن أرقص في أرض الله المخضرة
أن أحرث أرض الله الجرداء
كم أرغب أن أنصب عند الأنهار نواعير
أن آمل طول العمر
لحقول القمح العطشى
رائحة الماء
كم أرغب أن أكتب ملحمة كبرى
لا تنسى أصغر مخلوقات الله
وأتعس مخلوقات الله
أن أبدع قاموسًا
أحذف منه الحزن واسم الحزن وفعل الحزن

وما خلفه من ألم وبكاء
أحلم أن أحمل يومًا قلمًا يشطب كل حروف
النفي وكل الأفعال الناقصة
كل الأفعال المتعدية

أحلم..
أحلم..
أحلم..
الأحلام ضمير الناس وخبز البسطاء
الجزء المخبوء من الإنسان بعيدًا عن أجهزة
التصوير وأجهزة السمع..
الجزء الراكض كالطفل وراء فراشات مسحورة

ولأني أحلم
فأنا طفل يكره أن يُسجن في قفص تحت رعاية
عائلة تهوى جمع المخلوقات الطيبة في قفص
من نار
ما كنت أحلم بالماء العذب
لو لم أعطش

ولأني أحلم بالماء
فأنا ضمان حتى الموت
أين بساط الريح ليأخذني حيث الجزر المسحورة
حيث الأشجار الناطقة
حيث الأرض المفروشة غيمًا وحريرًا
حيث الليل المزدان بأقمار لا تغمض
حيث الصبح الجالس فوق الأرض يمشط شَعرًا ذهبيًّا
أين بساط الريح ليأخذني حيث أطير كولدان الجنة
أرقص كالضوء وأركض..
أركض..
كصغار الغزلان؟
أين بساط الريـــــــح؟
أين الفانوس السحـــري؟
وأين بلاد أليس؟
كم أحلم أن أحلم يومًا
ببلاد أليس!!

* * *

في منتصف الليل

يا شمس دمي
يا أم نهاراتي
يا أخت جنوني
يا بنت الغضب
قومي الآن
في منتصف الليل
قومي انسكبي
في كف حياتي المحكومة بالإعدام
قومي الآن
فأنا أبحث عن سبب
لأموت سعيدًا
في منتصف الليل.